المشرق

جولة في الدولة العلوية

للاب لويس شيخو اليسوعي

الدولة العلويّة هي ثالثة الدول الوطنيّة السوريّة الداخلة تحت الانتداب الفرنسويّ لكنّ موقعها في اطراف سواحل بحر الشام قريباً من جبال قليلة المنافذ صعبة المسالك مع نفور سكّانها من الاختلاط ببقيّة العناصر السوريّة جعلها كالقلعة الحسناء المتستّرة المحصّنة في خدرها لا يعلم الجمهور الّا الزهيد من امورها

وها قد اطّلعنا على دليل صغير نشرتهُ الحكومة الفرنسويّة مؤخّرًا مطبوعاً في مطبعتنا الكاثوليكيّة باللغة الفرنسويّة (١ وضمّت اليهِ خارطة لافادة السيّاح (٢ اشارت فيها الى اهمّ مدن الدولة وقراها وآثارها القديمة مع تعريف مركزها واقضية سنجقيّها وانهارها وجبالها . فكان ذلك داعياً حدا بنا الى كتابة فصل خاصّ بهذه الدولة نستفيد فيه من الدليل المذكور ونشفعهُ بمعلومات أُخرى نستقيها من موارد العلماء والاثريين الذين كتبوا عن تلك الانحاء. ولم تزل كتاباتهم مجهولة لدى معظم اهل الوطن

١. معلومات عمومية

﴿اسم الدولة﴾ هذه الدولة تُعرف اليوم بالدولة العلويّة نسبةً الى علي بن ابي

١) هذا اسمهُ: Petit Guide Touristique de l'Etat des Alaouides (SYRIE)

٢) بهذا العنوان Carte Routière et Touristique de l'Etat des Alaouides

طالب رابع الخلفاء الراشدين وزوج فاطمة كريمة نبيّ المسلمين . ينتمي اليه العلويّون ويعظّمونهُ بمثابة مشترع الاسلام . وكان الاسم الغالب عليهم قبل هذه السنين اسم النُّصَيْرِيَّة الذي صحَّفهُ البعض باسم الأَنصارِيَّة . واشتقاق هذا الاسم على ما رواهُ ابو الفداء في تقويم البلدان عن ابن سعيد من « نُصَيْر مولى عليّ بن ابي طالب » والمرجّح انهم يُنتسبون الى محمَّد بن نُصير احد اتباع حسن العسكريّ . والامام العلوي المتوفى سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م) الذي وصفهُ الكتبة المسلمون باحد غُلاة الشيعة . ومن غريب الاتفاق انَّ بلينيوس الكاتب اللاتيني في القرن الاوّل للمسيح يدعو في تاريخهِ الطبيعي (٥ : ٨١) اهل افامية (قامة المضيق) بالنَّصريين (Nazerini)

﴿ حدود الدولة العلويَّة ﴾ تمتدُّ هذه الدولة جنوباً الى النهر الكبير المدعوّ عند اليونان بأَلِفثيروس (Eleutherus) اي الحُرّ وشرقاً الى حدود دولة دمشق ثمَّ نهر العاصي وتتاخم شمالًا دولة حلب وغرباً بحر الشام

﴿مساحتها . جبالها . انهارها﴾ تبلغ الدولة العلويَّة طولًا من الجنوب الى الشمال نحو ٢٠٠ كيلومتر وعرضاً نحو ٣٠ كيلومترًا فيكون مجموع مساحتها نحو ٦٠٠٠ كيلومتر . امَّا جبالها فسلسلة متواصلة كان القدماء يدعونها باسم برجيليوس (Bargylus) تبتدئ جنوباً عند النهر الكبير وتمتدُّ الى الشمال الغربيّ وهي تدعى هناك بجبل الاكراد ثمَّ تتَّصل بالجبل الاقرع وبجبال انطاكية

وفي دولة العلويّين انهار عديدة تصبُّ في بحر الشام وهي مباشرةً من الجنوب نهر الابرش ونهر عمريت ونهر عمقي ونهر حسين ونهر مرقيّة ونهر بُوس ونهر خريصون ونهر جوبي ونهر البنّ او الابتر ونهر برغل ونهر المسكين ونهر الروس ونهر المضيق ونهر الصنوبر ونهر الكبير ونهر القنديل . وكفى بعددها دليلًا على خصب تلك البلاد وان يكن بعضها سيولًا تكاد تنضبُ في فصل الصيف . واعظمها النهر الكبير او الابيض وهو غير النهر الكبير (الوثيروس) الفاصل بين لبنان الكبير ودولة العلويين فانَّ نبعهُ في ولاية حلب فيقطع مسافة ٥٦ كيلومترًا ويصبُّ جنوبي شرقي اللاذقيَّة

﴿تقاسيمها الاداريَّة﴾ تُقسم اليوم الدولة العلويَّة الى سنجقين . سنجق اللاذقيَّة ومركزهُ اللاذقيَّة . تحت ادارتها ثلاثة اقضية وهي : قضاء اللاذقيَّة وقضاء صهيون

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Vingt et deuxième Année

1924

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1924

وقضاء جَبَلة . وسنجق طرطوس وهو ينقسم الى خمسة اقضية : قضاء طرطوس وقضاء مرقب وقضاء العمرانيَّة وقضاء صافيتا وقضاء الحصن . وتلحق بالسنجقين جزيرة ارواد المستقلة

﴿سكَّان الدولة العلويَّة﴾ هذه نتيجة احصائهم الاخير الذي تمَّ سنة ١٩٢٢ :

العلويُّون	١٥٣,٣٩٨	الروم الكاثوليك	٧٢٥
المسلمون	٥٩,٦٨٩	البروتستانت	٧٠١
الروم الاورثذكس	٣٣,٩٠٣	الارمن الكاثوليك	٦٣٧
الاسماعيليُّون	٥,٥٨٧	الارمن البروتستانت	٤١٢
الموارنة	٤,٤٣٠	اللاتين	١٥
الارمن الغريغوريُّون	١,٦٦٥	المجموع	٢٦١,١٦٢

٢ مدن دولة العلويين الساحلية

مدن العلويين على ساحل بحر الشام اربع : اللاذقيَّة ثمَّ جَبَلة ثم بانياس ثمَّ طرطوس

﴿اللاذقيَّة﴾ هي عاصمة الدولة العلويَّة بلغ عدد اهلها في الاحصاء الاخير ٢١,٠٦٦ نفساً وهي احدى المدن العريقة في القدم ترقى الى عهد الفينيقيين كانت تُدعى سابقاً باسم راميثا اي العالية استولى عليها السلوقيُّون فزيَّنها سلوقس نيقاطور (٣١٢–٢٨٠) بالابنية البديعة وحفر مرفأها وخصَّها بانعامات جمَّة ودعاها لاوذيقية باسم والدته لاوذيقة ومنها اسمها الحالي اللاذقيَّة او اللاذقيَّة البحريَّة تمييزاً لها عن لاذقية اخرى في لبنان ثمَّ منحوها استقلالاً نوعيًّا فضرب ملوكها النقود على اسمهم . وفي العهد الروماني تناوبت عليها أيام سرَّاء وضرَّاء . وخصب وخمول بسبب ما حصل بين الرومان من المنازعات في انحاء الشام لاسيَّما في عهد كاسيوس وبسيانوس نيجر اللذين نهباها واخرباها وقد اثابها على خلاف ذلك انطونيوس وبوليوس قيصر وسبتيميوس ساويرس لانتصار اهلها لحزبهم ومنحها ساويروس حقوق المدن الرومانيَّة ودعاها سبتيمية الساوريَّة . وتُرى الى يومنا هذا بقايا قوس الانتصار الذي أُقيم ترحيباً به بعد انتصاره على نيجر وقياسهُ في جوانبه ١٥ متراً لهُ واجهة مهيبة بطنوف بارزة واعمدة قورنثيَّة ونقوش محفورة في قلب الصخر . ومن ذاك العهد الروماني الهيكل المشيَّد لاكرام الاله ديونيسيوس او باخوس لهُ الدواري والاعمدة

ذات الاكلة الجميلة والنقوش البديعة يبعد عن قوس النصر نحو ٥٠٠ متر

وفي اللاذقيَّة من عهد ملوك الروم كنيسة قديمة حوَّلها العرب الى مسجد جامع ولا تزال فيه تصاوير نصرانيَّة على جدرانه وآثار منقوشة على جوانبه

فتح العرب اللاذقية السنة ١٨ ﻫ (٦٣٧م) فبقيت في حكمهم الى اواخر القرن العاشر فغلبهم عليها الروم ثم عادوا فاستولوا عليها الى ان فتحها الصليبيُّون وأحرقوها بإمارة انطاكية فكانت فُرضتها لحسن مرفإها. والمدينة على منعطف ربوة داخلة في البحر كان يمنعها سورٌ ذو شُرَف وتحدق بها الكروم التي كانوا يعصرون من عنبها خمرًا طيِّبة اطنب القدماء في ذكرها

وكان في اعلى المدينة حصنان حريزان تُرى في يومنا آثارهما وكانت في خارج المدينة عند مصبّ النهر الكبير وهم يدعونهُ بالنهر الابيض كنيسةٌ على اسم القديس اندراوس الرسول

ثمَّ نُكبت اللاذقيَّة بويلات الزلازل (١١٥٧ و١١٧٠) وكوارث الحروب بفتح السلطانين صلاح الدين الأيوبي (١١٨٨) وقلاوون (١٢٨٦) فخسل ذكرها وجعلها المماليك المصريُّون تحت حكم طرابلس وبقيت كذلك في زمن بني عثمان الى ان فصلها عنها مدحت باشا ومنحها رتبة المتصرفيَّة فنهضت قليلًا من كبوتها وراجت سوق زراعتها ولاسيما تبغها الفاخر. وكانت اللاذقيَّة مع ذلك اشبه بقرية تغلب عليها الاخربة وتشوِّهها الاقذار وها هي قد اصبحت اليوم بفضل الانتداب الفرنسوي متناسقة الاحياء منظَّمة الابنية نظيفة الاسواق مُنارة ليلًا بالكهرباء يشرب سائر اهلها المياه الصافية ويتنزَّهون الارواح في حديقتين بديعتين والسيَّاراتُ توصلها بانحاء الدولة وبالتخوم المجاورة بما أنشئ لها من الطرق ريثما تباشرها السكك الحديديَّة

﴿جَبَلة﴾ جنوبيَّ شرقي اللاذقيَّة على مسافة نحو ٣٠ كيلومترًا منها وهي بلدة صغيرة دعاها قدماء الفرنج Zibel يبلغ عدد سكانها حاضرًا كما ورد في الاحصاء الاخير ٤،٥٦٧ نفسًا وهي مدينة حسنة الموقع جميلة المنظر تحدق بها البساتين وقد نظَّف الانتداب اسواقها القذرة التي كانت معششة فيها الميكروبات وجراثيم الهواء الاصفر. ويدلُّ اسمها على ارتقائها الى زمن الفينيقيين واليهم ينسب مرفأها وقريبًا من البحر شماليَّ المدينة مدافن فينيقيَّة. ومن آثارها مسجد السلطان ابراهيم ولعلَّ الصواب

انَّ فيهِ قبر ابراهيم بن الادهم احد زهّاد المسلمين المتوفى سنة ١٦١ هـ (٧٧٨م) على ما روى ابو الفداء في تقويم البلدان فدعاهُ العامّة بالسلطان

وقد تناوب في ملك جَبَلة بعد الفينيقيين ملوك الساوقيين ثمَّ الرومان ومن آثارهم هيكل على اسم الشمس ثمَّ حَلبةُ رياضاتهم والعابهم الباقية الى يومنا. ثم صارت جبَلة الى ملوك الروم فرمّم الملك يوستنيان ابنيتها. وكانت حصناً للروم لمَّا فتحها العرب. قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٥) :

« وبنى معاوية بجبلة حصناً خارجاً عن الحصن الرومي القديم وكان سكّان الحصن القديم قوماً من الرهبان يتعبّدون فيهِ على دينهم فلم تزل جَبَلة بايدي المسلمين على احسن حال حتّى قوي الروم وانتهزوا ثغور المسلمين فكان فيما اخذوا جَبَلة في سنة ٣٥٧ (٩٦٧م) بعد وفاة سيف الدولة بسنة ولم تزل بايديهم الى سنة ٤٧٣ (١٠٨٠ م) . . . فوثب عليها ابن صليمة قاضي جبلة واستعان بابن عمّار صاحب طرابلس فتقوّى بهِ على مَن جا من الروم فاخرجهم منها . . . ثمَّ ملكها الفرنج سنة ٥٠٢ (١١٠٨م) . . . الى ان استردَّها الملك الناصر صلاح الدين في سنة ٥٨٦ هـ (١١٨٨م) »

وفي السنة ١٦٢٤ تولّى تدبيرها الامير فخر الدين المعنيّ . . ثم بقيت في ايدي الاتراك الى اواخر الحرب الكونيَّة سقيمةً خاملةً وخصوصاً بعد ان فتك باهلها الهواء الاصفر سنة ١٨٧٥ فتكاً ذريعاً فانقذتها فرنسة من سقمها ولا تزال ساعيةً في تحسين امورها. وللسلطان عبد الحميد فضل في ترميم مسجدها واصلاح حمّامها التي تجري اليها مياه نبع النوّار الذي يقطع المدينة ويمرُّ في المسجد ثمّ يصبُّ في البحر. والسهول المجاورة لجبلة وافرة الخيرات فيها البساتين الكثيرة الاثمار وفيها يُزرَع تبغُها الشهير المنسوب اليها المعروف بالي ريحة. ولها ايضاً المراعي المتنجعة تسرح فيها المواشي وكانت ضرائب الاتراك عليها تبلغ في السنة ١٦٠٠٠ قرش بنيف

﴿ بانياس ﴾ ويدعوها العرب بُلُنياس وفي كتب الصليبيين Balanaia او Valenie ، يشتقّ اسمها من اللاتينيَّة (Balanæi) اي الحمّامات كان القدماء يستحمُّون فيها. ولعلّها بُنيت في ايام اليونان. وكان لها في ايّام النصرانيَّة كنيسة جميلة وحضر استفها المجمع النيقوي (٣٢٥) وهي في سفح جبلٍ فوقهُ حصن مرقب على ساحل البحر تبعد نحو ٢٥ كيلومترًا عن جبلة ولها التربة الخصبة والبساتين الطيّبة ذات الاشجار الوارفة الظلال الجنيَّة الاثمار المفرّدة الاطيار يسير في وسطها

نهر بانياس الذي تنبع مياهه شرقي الطريق على مسافة قريبة من البلدة. عدد سكّان بانياس بموجب الاحصاء الاخير ١،٢٨٦. والمسلمين فيها مسجد. أمّا النصارى فاكثرهم يسكن في قرية قريبة جنوبي بانياس تدعى مساكين للموارنة منهم فيها كنيسة. ولهم كنيسة اخرى في عين صفراء حيث تكثر مزارع الزيتون

﴿ طَرْطوس ﴾ والاصح طَرَطوس ويقال طرسوس واسمها مشتق من «Antaradus» اي المواجهة لأرواد. هي من المدن الساحليّة القديمة موقعها بين بانياس على مسافة نحو ٤٠ كيلومترًا جنوبها وطرابلس على مسافة ٥٠ كيلومترًا شماليًّا. اقامها اهل ارواد الفينيقيّون بازاء جزيرتهم تسويلًا لتجارتهم وزراعتهم. عُني الامبراطور قنسطنسيوس الاوّل بترميمها فدعاها باسمه قسطنطينة (Constantina) فحصّنها بسورٍ وقلعةٍ ولها الحدائق المحيطة بها. وقد اشتهرت في ايام الصليبيين بنسوجاتها الصوفية. وعدد اهلها اليوم يبلغ ٣،٣٠٧ كما ثبت بالاحصاء الرسميّ

﴿أَرْواد﴾ هي الجزيرة الصغيرة التي تبعد عن البرّ بمسافة كيلومترين جنوبي غربي طرسوس يسكنها ٢،٧٣١ نفسًا وفقًا للاحصاء الاخير. وقد لعبت لرواد دورًا مهمًّا في التاريخ كصور وصيداء منذ عهد الفينيقيين وحصلت على استقلال نوعي في عهد السلوقيين فضربت على اسمها النقود وكان لها جسرٌ بينها وبين البرّ وكانت مياه البرّ تجري اليهم بقساطل ما عدا ما يجمعونهُ في آبارهم. واشتهر الارواديّون خصوصًا بالتجارة البحريّة وقد خصّ النبيّ حزقيال بالذكر الارواديين فدعاهم (٢٧: ٨) «قدّاني صور» وقال في نبوّتهِ عن صور (٢٧: ١١): «بنو ارواد مع جيشكِ كانوا على اسوارك من حولك والابطال كانوا في بروجكِ وعلّقوا تروسهم على اسوارك هم اكملوا جمالكِ». وقد حارب الارواديّون مع اليونان والرومان. وكان لارواد سور مزدوج غاية في المتانة يردّ عنها غارات الاعداء ترى الى اليوم آثارهُ. وكانت ارواد مع صغرها كثيرة السكّان شاهقة البنيان. تدلُّ على عمرانها آثار عديدة من اعمدة واخربة وكتابات يونانيّة ونقود. وكان لها دار ندوةٍ ويملك عليها ملوك وطنيّون يسوسون اهلها. ومنهم كان جروستراتوس الذي حارب الاسكندر مع الفرس ثمّ اسرع وترضّاهُ بالهدايا لمّا رآهُ ظافرًا فنال منهُ الامان. ولمّا ملك العرب ارواد خرج منها اهلها وامر معاوية بدكّ حصونها وإحراق ابنيتها. ومذ ذاك الحين قلّ سكّانها وضعف امرها

وكانت تابعة لولاية طرابلس

هذه مدن الدولة العلويّة وأمّا مدنها الداخلية فهي كالقرى نذكر البعض منها مما له ذكر في التاريخ

٣ قرى دولة العلويين ذات الشأن

قرى الدولة العلوية ومزارعها تنيف على الالف واكثرها للعلويين وللمسلمين ومنها ما يسكنهُ النصارى كالوارنة والروم وبعضها مشترك بين اهل الاديان المختلفة ومعظم السكّان يرتزقون بالفلاحة والزراعة ورعية المواشي وتربية التزّ والنحل وعصر الزيت وليس ما يستحقُّ الذكر بين القرى الّا القليل

فمنها مصياف ويقال مصياد وهي قصبة قضاء العمرانيّة يبلغ عدد اهلها ١٬٧٠٠ نفس مبنيّة في لحف جبل. قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢١٩) «مدينة مصياف هي بلدة جليلة وبها انهار صغار من اعين ولها بساتين ولها قلعة حصينة وهي مركز دعوة الاسماعيليّة وهي في لحف جبل اللكام الشرقيّ»

وغربي مصياف قرية قدموس بينها وبين بانياس وهي مبنيّة على منعطف جبل في قمّته قصر الاسماعيليين القديم يكشف منهُ الناظر على البحر وعلى جبل لبنان بمنظر فتّان يأخذ بالابصار. وقدموس يبلغ اليوم اهلها قريباً من ٩٠٠ نفس لهم مدير

واعظم منها شأناً قرية صافيتا شرقيّ طرطوس عدد اهلها بموجب الاحصاء الاخير ٢٬٨٤٢ نفساً يبلغ منهم الروم نيّفاً والثلثين ثمّ الروم الكاثوليك ٤٠٠ والباقون علويّون ومسلمون. وهذه البلدة قد افرغ الكابيتان پيزلّا (C^ne Pisella) وسعهُ في اصلاحها وتزيينها ففتح فيها الطرق وغرس الاشجار وجهّزها بالنور الكهربائي وبالتليفون وبمحطّة للسيّارات وفي صافيتا معمل حرير للوجهاء البيروتيين فرعون وشيحا يُصطنَع فيه كل سنة نحو عشرة آلاف كيلو من الحرير. وفي صافيتا والقرى المجاورة يشتغل الاهلون الطنافس الشهيرة (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣]: ٨٨٥)

وفي صافيتا كنائس قديمة منها كنيسة على الطرز اللاتيني هي اليوم في ايدي الروم. امّا الروم الكاثوليك فهم يُعنَون حاضرًا بابتناء كنيسة جميلة كان باشر بها الطيب الذكر المطران يوسف الدوماني ويسعى سيادة خلفه في انجازها

. وقريباً من صافيتا قرية كفرون معظم اهلها من الموارنة الاتقياء. ولراهبات قلبي يسوع ومريم فيها مدارس زاهرة . وبجوارها قرية دريكيش التي فيها مياه معدنيَّة شبيهة بمياه فيتل (Eaux de Vittel) الشهيرة في فرنسة

ومن القرى الحريَّة بالذكر تل كلخ على ممرّ السكة الحديديَّة بين حمص وطرابلس. في شرقيها في البقيع وقعت المعركة بين الفيصليين ودولة الانتداب سنة ١٩٢٠ . ومن مآثر الجنرال بيليوت (G^al Billote) ثم خلفه المسيو كيلا (Cayla) فيها وفي كلّ جهات دولة العلويين الطرقات التي فتحها حتى تسهَّلت المعاملات وراجت الاسواق وتحسَّنت احوال البلاد

٤ الآثار القديمة في دولة العلويين

كانت ارض العلويين ممرًّا لغزاة الشعوب الذين قصدوا فتح بلاد الشام وسواحلها سواءاتوا من جهات العراق ام زحفوا اليها من آسية الصغرى اومن مصر فاستولوا عليها تباعاً من بابليين ومصريين وماديين ويونان ورومان وعرب. على انَّ الأيام ذهبت بكثير من آثارهم فبقي منها القليل الزهيد وها نحن نذكر منها البعض ممَّا وقفنا عليه

﴿الآثار المصريَّة﴾ انَّ ما ثبت للأثري الفاضل المسيو مونتيه عن قدم المواصلات بين دولة الفراعنة ومدينة جبيل يصدق ايضاً على انحاء السدولة العلويَّة ولاسيما عن سواحلها فانَّ رينان في بعثة فينيقية ذكر آثارًا حسنة من العاديَّات المصريَّة وجدها في جزيرة ارواد وفي طرطوس وعمريت

منها كتابات هيروغليفيَّة في ارواد ذكر فيها الفرعون بسماتيك الاوَّل. ومنها تماثيل ودُمًى ورموز مصريَّة على آنية من المرمر الشفَّاف تمثل ابا الهول والحيَّة السلطانيَّة (uræus) التي كانت تجعل فوق تاج الفراعنة. وفي طرسوس وُجدت آثار دينيَّة من معبودات المصريين . وفي عمريت وقفوا على تماثم وحليّ وأثاث عليها علائم مصريَّة بينها كُرةٌ ذات تاج حولها حيَّات يعلوها قرصٌ مجنَّح

وكذلك ورد بين الآثار المصريَّة ذكر قلعة شبْتونة في عهد رعمسيس الثاني. وقد تحقَّق ارباب العاديَّات المصريَّة انَّها سبقت الحصن المعروف اليوم بحصن الاكراد الذي جدَّد بناءهُ الفرنج الصليبيُّون

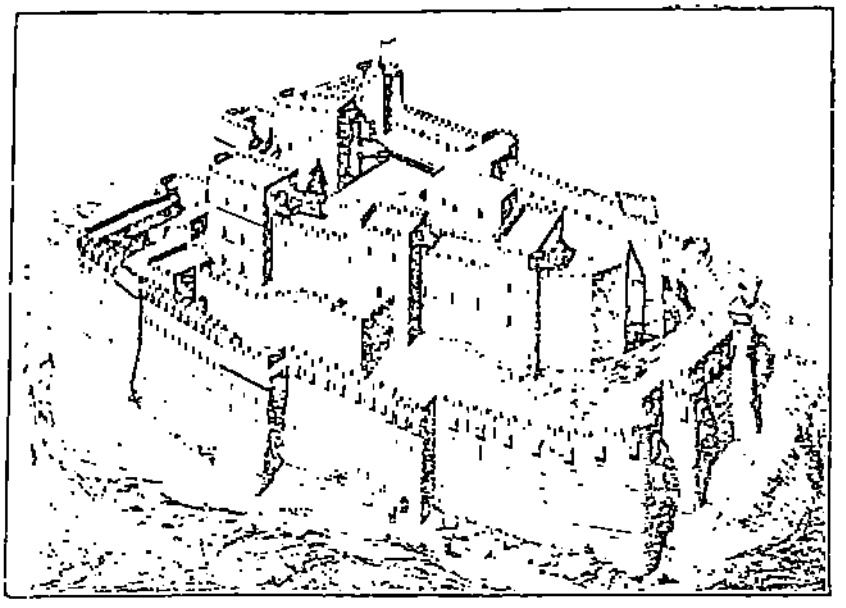

قلعة الحصن وابنيتها القديمة

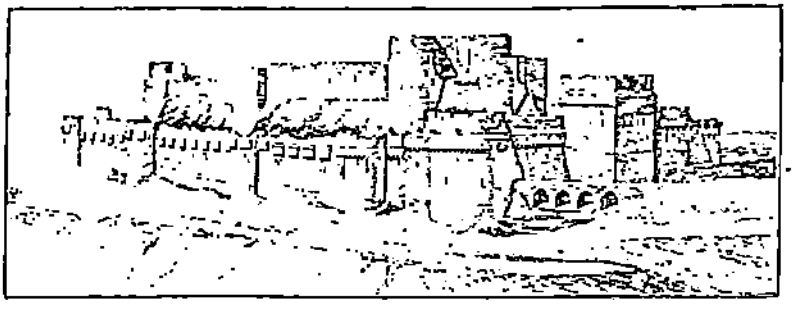

قلعة الحصن في حالتها الحاضرة

LE KRAK DES CHEVALIERS AUTREFOIS ET AUJOURD'HUI

D'APRÈS G. REY

﴿الآثار الفينيقيَّة﴾ هي كثيرة في بلاد العلويين . منها مدافن قديمة كمدفن اللاذقيَّة ومدفن جبلة بعضها منقور في الصخر على صورة اجران فيها آثار كزجاجات المدامع وخزفيَّات وبعضها كآبار يُضجعون فيها الميت . ومن اعظم هذه المدافن مدافن اللاذقية المنحوتة في وسط الصخور على مسافة نحو كيلومتر

ومن آثار الفينيقيين في ارواد وفي بعض الحصون صهاريج محكمة البناء ثمَّ ابنية شتى ذات حجارة ضخمة واعمدة وسوار . وكذلك آثار دينيَّة من معبودات الفينيقيين كتماثيل «عشترت» وانصبة ومقادس كانوا يجعلون فيها عرش «الالهة السورية» كما في عمريت في بنائها المعروف بالمعبد ذي الآثار الجليلة الباقية الى يومنا

ومنها ايضاً هيكل بتوقيقي (Bœtocécé) الفينيقي الذي يُعرَف بحصن سليمان لا تزال منهُ بقايا صالحة يزورها السيَّاح شرقي شمالي صافيتا وشمالي المشتى

وفي شمالي دولة العلويين آثار هيكلين آخرين مَرْبِين وصهيون وُجدت فيهما مصنوعات دالَّة على العبادة الفينيقية

﴿الآثار اليونانيَّة والرومانيَّة﴾ الآثار الرومانيَّة تتألَّف خصوصاً من ابنية كانوا يشيدونها لزينة البلاد او لاكرام معبوداتهم كالهياكل والمسارح والقصور الفخمة تشهد على جمالها الآثار التي صبرت على آفات الدهر كما سبق

ومن الآثار اليونانيَّة والرومانيَّة ما عددٌ لا يُحصى من الكتابات العاديَّة بعضها وثنيَّة وبعضها نصرانيَّة وبينها كتابات مدنيَّة نشرها الاثريون كطومسون ورينه دوسو وحضرة الاب لامنس على كثير منها تاريخ السلوقيين . وأمتع هذه الكتابات ما ورد فيها شيء من الآثار النصرانيَّة فتارةً يُذكَر فيها اسم «السيد المسيح ابن الله» وتارةً يلتجئ الى قدرته بعض المحتاجين وحيناً يستفاد منها اسماء بعض اعيان الازمنة الخالية من اساقفة وكهنة ومؤمنين . وحيناً آخر تشير الى نذور وتقادم الى بعض اولياء الله كالقديس جاورجيوس وغيره . ومع هذه الكتابات الرموز النصرانيَّة المعروفة كالصليبان وبعض الطيور الرمزيَّة كالحمامة والطاووس وبعض النقوش كالانجر وسعف النخل الخ

﴿آثار الصليبيين﴾ هي كثيرة واخصُّها القلاع المحصَّنة التي شادوها لصيانة البلاد من هجمات الاعداء . نذكر منها اخصَّها . لمَّا دخل الصليبيُّون بلاد الشام في اواخر

القرن الحادي عشر وقعت كل املاك الدولة العلوية تحت حكمهم وبقيت في ايديهم الى اواخر القرن الثالث عشر الاَّ بعض السنين كان المسلمون يستولون عليها وخصوصاً في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي

وكانت اوَّل آثارهم ان حصَّنوا المدن الساحلية في وجه اعدائهم ففتحوا المرافئ او اصلحوها وبنوا لها البروج للدفاع عنها . وكثير من هذه الاستحكامات لم يقوَ الزمان على دكه الى عهدنا هذا كما ترى في بانياس وجبلة

واعزّ من هذه الابنية الحصون الحربية التي بنوها على حدود بلاد العلويين قريباً من النهر الكبير فجعلوها سلسلةً متقاربة بحيث لا يستطيع احدٌ يلحق بها ضرراً

فمنها (قلعة الحصن) التي كانت في عهدة فرسان القديس يوحنَّا المعروفين بالاسبيتلار وكان اسمها (Krac des Chevaliers) كانت من احرز الحصون تحميها البروج وعلى جوانبها الحجارة المنحوتة على هيئة منعطف لا يستطيع الجنود ان يرقوا اليها الاَّ بشقّ النفس وحولها الخنادق العميقة . وكان لها سوران يحدقان بها . وقد استولى عليها السلطان بيبرس سنة ١٢٧١

ومنها (قلعة مرقب) وكانوا يدعونها Margat وهي على قمَّة جبل مشرف على بانياس كانت واقعة في ملك امير انطاكية ريموند فأقطعها فرسان مار يوحنَّا السابق ذكرهم سنة ١٢٠٧ وكانت من احرز قلاع الصليبيين ذات سورَين منيعَين تحرسها بدَنة مفروشة بالبلاط وعدَّة ابراج وفي اسفلها صخور ضخمة وكانت هندستها هندسة الحصون الواقعة جنوبيّ فرنسة ممزوجة بالهندسة البوزنطيَّة وكان في وسطها معبد واسع مربَّع مستطيل يأخذ بجوامع القلب مع بساطته تزينهُ الاعمدة الضخمة . وفي هذه القلعة توفي ملك الروم اسحاق كومنان سنة ١١٩٥ وكان ريشارد ملك انكلترَّة اسرهُ وسلَّمهُ لفرسان المرقب . وحاول صلاح الدين وغيرهُ من ملوك المسلمين ان يفتحوا هذه القلعة فاعجزَتهم الى ان سلَّمها الفرسان للسلطان قلاوون سنة ١٢٨٥ فخرجوا منها بالامان

ومنها (برج صافيتا) شرقيّ جنوبي ارواد كان الصليبيُّون يدعونهُ القصر الابيض (Chastel-Blanc) كان يحميه فرسان الهيكل وموقعهُ على جبل بين واديين على علوّ ٢٣٠ متراً فوق سطح البحر كان من القلاع التي لا تُنال لوفرة استحكاماتها

المدرَّجة حول جبلها . كان بُناتها الهيكليُّون حذوا في تشييدها حذو البوزنطيين فبنوا لها سورًا مخمَّس الزوايا كثير البروج المربَّعة عميق الخنادق. فتحها الملك الظاهر بيبرس سنة ١٢٧١ فاسر حماتها وكانت أُصيبت قبل ذلك ببعض الخراب في الزلزلة التي دهمت سواحل الشام سنة ١٢٠٢

وفي دولة العلويين ايضاً (قلعة صهيون) يدعوها الفرنج Saone في جبل داريوس شمالي شرقي اللاذقيَّة كان امراء انطاكية حفروا حولها خندقاً يبلغ عمقهُ ثلاثين متراً في عرض ١٢م وكانت ثلثة اسوار محدقةً بها وباطنها مجهَّزاً بكل عُدَد الحرب. اخذها صلاح الدين عنوةً سنة ١١٨٧ . وقد صبر قسم كبير من سورها وابراجها على الزمان الى يومنا

وللصليبيين قلاع اخرى دون السابقة في الدولة العلويَّة كيحمور وكوابي وكهف وقلعة بني اسرائيل وعُلَيقة ممَّا تدلّ آثارها على شدَّتها

ولهم ايضاً الابنية الدينيَّة منها بيعة السيدة في طرسوس كان الصليبيُّون اقاموها في مكان بيعة اخرى قديمة ينسبون بناءها الى اوائل النصرانيَّة وكان المسيحيُّون يتقاطرون الى زيارتها . فلمَّا فتح صلاح الدين طرسوس أخرب منها جانباً لكن قسماً كبيراً منها لا يزال سالماً فعُني سنة ١٩٢١ السيو أنلار (M' Enlart) بدرس آثارها والتنقيب عن خواصها الهندسيَّة كما انهُ خصَّ بنظره بناء دير البلمند فكتب عنهُ فصولاً شائقة ونشر صورهُ المتقنة وكان في ايَّام الصليبيين ديراً للرهبان البندكتيين

ومن هذه الآثار الدينيَّة ايضاً دير مار جرجس حميراء للروم الاورثذكس فانَّ كنيستهُ على اسم القديس فوقا اقامها الصليبيُّون وفيها من اعمال الهندسة والنقوش الجميلة التي الفتت انظار حكومة الانتداب فاهتمُّوا بامرها . وقد سبق لنا ان كنيستهم في صافيتا هي ايضاً اثرٌ صليبيٌّ وكانت على اسم رئيس الملائكة ميخائيل

٥ العناصر والاديان في الدولة العلوية

قد سبق ذكر الاحصاء الذي توأت تنفيذهُ الحكومة الفرنسويَّة في الدولة العلويَّة ولا حاجة لوصف النصارى ودينهم فسواء كانوا هناك من موارنة ام روم كاثوليك او اورثذكس فانَّهم حريصون على دينهم عاكفون بالوفاق والوئام شاكرون لفرنسة همَّتها في ترقية امورهم وتحسين زراعتهم وصناعتهم . ويؤملون انَّ ما يختبرهُ

الكومندان پيشون (C^nt Pichon) لزراعة القطن يفتح لهم باباً جديداً للارتزاق

واما البروتستانت فليس لهم من النفوذ في الدولة العلويَّة الَّا بما ينفقونهُ من المال الوافر ليتقضوا به بعض المحتاجين لاسيما مهاجري الارمن . والبروتستانت هناك كما في غير امكنة من شيع منقسمة

اما المسلمون فمعظمهم في مدن الساحليَّة وفي بعض القرى لاسيَّما الجنوبيَّة يقوم بامرهم شيوخ ملَّتهم

اما النصيريون فعنصرهم هو الغالب على الدولة العلويَّة ويمتازون عن المسلمين بعدَّة امور ولاسيما بتعظيمهم لعليّ بن ابي طالب فيتَّخذونهُ كزعيم ملَّتهم ويكادون يعتبرونهُ بمنزلة الاله ويقرنونهُ بمحمَّد بن عبدالله وبسلمان الفارسي فيجعلونهم كنوع من الثالوث ويختصرون اسماءهم بلفظة عمس

والرأي الغالب بين العلماء في عهدنا ان منشأهم كان في العراق في القسم الثاني من القرن التاسع للمسيح بدعوة محمَّد بن نُصَير احد غلاة الشيعة ثمَّ بتدبير احد تبعتهِ المسمَّى الحسين بن حمدان الخصيبيّ فانتشروا في جبال اللاذقيَّة وابتنوا الحصون الحريزة فجرت بينهم وبين الاسماعيليين ثم مع المسلمين في عهد المماليك حروب دامية . ولمَّا احتلَّ المصريُّون بلاد الشام اخرب ابراهيم باشا قلاعهم فانحلدوا الى السكينة الَّا عُصَباً منهم متفرِّقة كانوا يتعاطون اللصوصيَّة

والنصيريَّة فرَق : الشماليَّة او الشمسيَّة في شمالي جبل النصيريَّة يعبدون الشمس . والكلازيَّة او القمريَّة يعبدون القمر . والكلبيَّة يعبدون الحيوان . والغبيَّة عَبَدة الهواء . يضمرون تحت هذه الرموز عبادة عليّ بن ابي طالب . ولهم شيوخ يختلفون رتباً اعظمهم الإمام ثمَّ النقيب ثمَّ النجيب يتولَّون صلواتهم واعيادهم ومحافلهم . ولهم كتب سرِّيَّة لا يُطلعون عليها احداً من الغرباء ولا من نسائهم ويزعم البعض ان اسرارهم لا تخلو من المنكر . وبينهم كما بين الدروز طبقة العقَّال وطبقة الجهَّال ويقولون مثلهم بتناسخ الارواح

وقد دخل في دينهم شيء من المعتقدات النصرانيَّة واعيادها واوليائها كعيد الميلاد وعيد الغطاس والشعانين والعنصرة وعيد القديسين يوحنَّا المعمدان ويوحنَّا فم الذهب ويتناولون في مجتمعاتهم الخبز والخمر ويدعون اولادهم باسماء نصرانيَّة . فحمل

كلّ ذلك بعض الكتبة الى القول باصلهم النصرانيّ

وليس لهم مع هذا معابد للصلاة الّا خلوات صغيرة مقبّبة تُرى في اطراف قراهم يجتمعون فيها لمناسكهم . وحاضرتهم مصياف فيها امامهم.

وفي الدولة العلويّة كما رأيت عنصر آخر وهم ﴿الاسمعيليّون﴾ فرقة باطنيّة كانوا في الاصل مع النصيريّة فرقةً واحدة ثمّ انقسموا الى قسمين يعادي كلّ منهما الآخر. والاسمعيليّون ينتمون الى محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وهو سابع ائمّة العلويين . كانوا في جهات فارس فتفاقم امرهم فحاربتهم الجيوش الاسلاميّة فهربوا من وجهها وتسرّبوا الى جبال انطاكية ومنها الى جبل السمّاق ثمّ جبال النصيريّة وتمكّنوا من فتح بعض قلاعها بمساعي احد زعمائهم المدعو عبدالله بن ميمون فغلبوا النصيريّة وتحصّنوا في قلعة قدموس ثم في مصياد وكهف ورصافة وبادين وعُرف رئيسهم بشيخ الجبل كان يُسكر تبعتهُ باكل الحشيشة فيدفعهم الى كلّ المنكرات فأطلقوا عليهم اسم الحشاشين الذي اشتقّ منهُ الفرنج كلمة Assassins اي القتلة لكثرة من اغتالوهم وفتكوا بهم . ثمّ اجتمع عليهم المسلمون في عهد مماليك مصر فكسروا شوكتهم . ثمّ قام عليهم النصيريّون فأذلّوهم . وقد بقي منهم القليل في عهدنا في جبال النصيريّة ويُتهمهم العموم باقتراف المحرّمات في اجتماعاتهم السرّيّة

٦ اخلاقهم

انّ انقطاع اهل الدولة العلوية عن مراكز الدولة الراقية كان مؤثّرًا في اخلاقهم وان استثنيتَ منهم النصارى الذين كانوا كالارقّاء في جوارهم كان الغالب عليهم الإباء والأنفة والجور لا يردعهم رادع الّا اذا طاردتهم الجيوش المنظّمة وأعملت السيف في رقابهم . وتساعدهم على نفورهم جبالهم الشاهقة ومنافذها الضيّقة وحصونها المنيعة . على انهم بعد واقعة البقيع وخضوعهم للدولة المتبذة ادركوا ما لفرنسة من الفضل على بلادهم وهم اليوم مسالمون خاضعون لهم من الحقوق ما لدولتي دمشق وحلب . ويصحّ ذلك على البكوات والأغوات المسلمين الذين كانوا متصفين بالسلطة والتغلّب يغصبون اموال الناس ويظلمون القرويين ويسخّرونهم لاشغالهم قسرًا . منهم الدنادشة والزعبيّة والتركمان ويسكن اكثرهم في جنوبي الدولة العلوية في تل كلخ

ومشتى لهم المنازل الفخمة والجياد الكريمة لاسيما جنسها المعروف بالصقلاوي . ولهم عناية كبيرة في تربية الخيل

والنصيريون ذوو نشاط يرتزقون بالفلاحة وفي اراضيهم الاراضي الطيبة تأتي بالمواسم من الحبوب والبقول والفواكه لكثرة المياه الجارية من جبالهم . وتزكو في املاكهم اشجار الزيتون والكروم. ويبلغ محصول الحرير نحو ٢٠،٠٠٠ كيلو غرام. ويُنسج السجّاد في بعض قراهم كرارا

امّا العيشة الروحية فهي قليلة الانتشار بينهم ولم يكن لهم المدارس لتهذيب اخلاقهم الّا بعض المكاتب الابتدائيّة واكثرها للنصارى والمسلمين . والحكومة الفرنسويّة مهتمّة في سدّ هذا الخلل فأنشأت في انحاء البلاد بعض المدارس على نفقتها تؤمل من المتخرّجين فيها خيرًا لبلادهم . ويثني الناس على مصري زاده برهان الدين بك الذي اصدر مجلّة «العلوي» المعتدلة في اللغتين العربيّة والفرنسيّة

وللاهلين في بلاد العلويين عادات تفرّدوا بها تختلف لكلّ قوم منهم في اطوار حياتهم من مولد وزواج وجنازة ففي افراحهم يُوكبون المواكب وينشدون الاناشيد ويتغنّون بالاهازيج ويوقدون النيران ويطلقون السلاح ويغالون بالمظاهرات والالعاب وركض الخيل والجريد وضروب حركات الفروسيّة والشهامة . وفي مناحاتهم يعظّمون المصاب ويشيّعون الجنائز بما تلهمهم الاحوال . ويحتفل الزعيبيّون في جنائزهم احتفالًا عظيمًا فينشرون أعلام الطريقة القادريّة التي يتبعونها فيمشي أمامها الشائخ القادريّة وهم يضربون طبولًا صغيرة ودفوفًا وصنوجًا ويتغنّون بالاغاني الشجيّة ثمّ يزور الاقارب قبر الميت مدّة ثلاثة ايّام صباح مساء .

وبلاد العلويين طيّبة الهواء ولاسيما في اواسطها وشمالها والحرارة فيها معتدلة وفي الشتاء تنزل على جبالها الثلوج وتكثر فيها الانواء وتتناوب عليها الارياح الغربيّة في الربيع والصيف والارياح الباردة الشرقيّة من تشرين الاوّل الى اواخر آذار

والاحوال الصحيّة حسنة بالاجمال الّا في جهات الجنوب فتفتك بها الحمّيات والجدري . وفي ابّان الحرب أصيبت بالمجاعة فذهب عدد عظيم من الاهلين ضحيّتها

والعيشة في اراضي العلويين ساذجة هنيئة يقتنعون بما رزقهم الله ويجهلون البذخ والتهتّك ويسكنون في بيوت بسيطة سطوحها مرصوصة بالحجارة وداخلها قليل

المنافذ وجدرانها خالية من الطلاء. وبعضها اشبه باكواخ منها بمساكن بشر. الّا قصبة صافيتا فانّ اهلها النصارى احرص على النظافة والعيشة المنتظمة وهم بالاجمال ارفع وارقى من النصيريين وعلى الاخصّ الروم ارباب الثروة في تلك الانحاء.

والقوم بالاجمال يشكرون فخامة الجنرالين غورو وفيغان لعنايتهما الخاصّة بالدولة العلوية

ما هو رأينا في الشعاع المحرق ؟

لحضرة الاب يوسف بلّيطو اليسوعي احد اساتذة مدرسة المتنبي الفرنسوية

قد كثر قيل بضعة اسابيع القال والقيل بين العموم في شأن شعاع جديد توفّق الى اكتشافهِ على ما رُوي عالمٌ انكليزي اسمهُ غرِنْدل ماتيوس (Grindell Matthews) فطنطنت بهِ الجرائد وعظّمتهُ . ولا غرو اذ ينسبون اليهِ اكتشاف شعاع مُحرق لمَلَّهُ يُضاهي اكتشاف عالم انكليزي آخر الدكتور هربرت ج . ولس (H. G. Wells) الزاعم بوجود سكان في القمر

يقولون ان الشعاع المذكور وهو احدى آفات الجحيم يقوى على ان يوقد البارود وان يوقف محرّكاً للادوات المتفجرة وان يشعل مصباحاً مشعًّا وان يقتل فارةً وكلّ ذلك من مسافة بعيدة . فكان لهذه المفاعيل العجيبة تأثير عظيم على مخيّلة العموم فيزعم البعض انّ الطيّارات سوف يُذيبها في وقت الحرب هذا الشعاعُ المحرق وان البوارج البحريّة سوف تلتهب وتتلاشى فجأة بالانفجار لا بل سيُفني جيوشاً برّارة دون ان يُسمَع لهُ صوت القذائف او صدى المدافع . فلا ريب انّ كثيرين من القرّاء عند وقوفهم على مفاعيل الشعاع المحرق ارتعدت فرائصهم لدى ذكرها

ذلك ما تناقلتهُ الجرائد وشاع على ألسنة العامّة والعامّةُ كما هو معلوم يتهوّسون لدى استماع مثل هذه الغرائب وتهيج مخيّلتهم بروايتها فيزيدونها غرابة . على ان العلماء لا يتلقون لمثل هذه الاخبار وينتظرون ريثما يوقفهم المكتشف على اختراعهِ فيبرون غورهُ ويبحثون بحثاً تمهيًّا في سوابقهِ ولواحقهِ ويرون رأي العيان صحّة ما يدّعيهِ